عبد الوهاب اسماعيل

لا فضاء سوى وحشتي



شعر

لا فضاء سوى وحشتي

الحقوق كافة
محفوظة
لاتحاد الكتاب العرب

البريد الالكتروني: E-mailunecriv@net.sy

aru@net.sy

موقع اتحاد الكتّاب العرب على شبكة الإنترنت

http://www.awu_ dam.org

الإخراج: سنديا عثمان

❑❑

عبد الوهاب إسماعيل

لا فضاء سوى وحشتي

شـــعر

من منشورات اتحاد الكتاب العرب

دمشق - 2007

بيانات الفهرسة

رياضيات الحاسوب

2007 - رقم

الإهداء

إلى وطنٍ
آليت ألا أبيعه
وأبى أنْ يبيعني
وأورثني عذاباته...
إلى ولديَّ الحبيبين
معد
و
إسماعيل

كُتبت أغلب قصائد هذه المجموعة

بين نيسان 2003 وآب 2006

الخيط الأبيض

هُزَّ بجذعِ الصبرِ
فما زالتْ في الليلِ
بقيَّةْ...
لا تَلدُ الحيَّةُ
إلا حيَّةْ...
لا تَدَعِ النومَ
يداهم عينيكْ...
أشعِلْ كبريتاً
حولَ الستارِ،
أطبِقْ شَفَتَيكْ...
سَبِّحْ في صمتِكَ
للوطنِ الآمنِ،
فالشهداءُ

يطوفونَ حواليكْ...

***

مطَرٌ ليليٌ
خلفَ نوافذِ بيتِكَ
والأطفالُ نيامْ..
حَيَّاتٌ تتناسلُ
خلفَ السّاترِ
والأُفقُ ظلامْ..
فاكْسِرْ حَدَّ النّومِ
فهذا
وطنٌ أَحَدٌ
خلْفَكَ
ليسَ اثنينْ..
يَتَعلَّقُ
تحتَ رفيفِ الأهدابِ،
ومختصَرٌ
حَدَّ الومْضَةِ
ما بينَ الجفنينْ..

وطنٌ يمتدُّ

من الأخمَصِ

حتى الماسورةِ

بين الكفّينْ..

ثم يصيرُ

بعرضِ شريطِ الأحلامِ

بصدرِكَ

حين تراوِدُكَ الأحلامْ..

ذُؤبانٌ

خلفَ السّاترِ

طُوفانٌ دمويٌّ

وَهَوَامْ..

تَتَجمَّعُ

تحتَ العُتْمَةِ والصمتِ

فأيّاكَ تنامْ..

إيّاكَ وإيّاكَ

تنامْ..

السلامُ المُباحْ

في أقاليمِ التفاحْ

~~في إقليمِ التفّاحْ~~

لَكَ ما تشاءُ من الكلامْ..
لَكَ ما تشاءُ من الحُطامِ
من الوئامِ.. من السلامْ..
لَكَ ما تشاءُ من الفراغِ
فَخُذْ بأطرافِ الفراغِ
إلى مدارِ الأسئلةْ..
وإذا استَعَرْتَ بقيَّةً
من صوتِكَ المسفوحِ
بين دمِ الذبيحةِ
واحتدامِ القنبلةْ..
فاحملْ إلى الأرضِ السلامَ
وقُلْ لمَنْ يأتونَ
مِنْ أطرافِ صمتِكَ
ما تقولُ المهزلةْ..

أرأيتَ مهزلَةً تقصُّ جناحَها
وتضمُّ مِزحةَ قاتليها؟..
أرأيتَها؟..
واللهِ إنَّكَ بينَ أضراسِ الرَّحى
تَغُطُّ في طِيبِ المنامْ..
وعليكَ يا صاحِ السلامْ..
وعلى لهاثِ الأمَّعاتِ المقبلةْ..
أرأيتَ مَهزلَةً
تدُسُّ لقاحَها في الرملِ
كي تئدَ البنينَ
مع البناتِ؟..
أرأيتَ فِعلَ النّازعاتِ
الناشطات
الكاشفاتِ؟..
قَشَرْنَ خَدَّ الأرضِ
فارتَعَشَ الشهودُ العابرونَ
إلى البَلَدْ..
وقطعتُ حبلَ السُرَّةِ
الشدودَ ما بين المشيمَةِ
والجسدْ..

وتعطَّلَتْ لغةُ الحياةِ
إلى الأبَدْ..
يا أيُّها المُتَهافتونَ على الزَّبَدْ..
تَبَّتْ يدا حُلُمي
يوزِّعُني فأحزنُ
ثمَّ يربطُني بحبلٍ منْ مَسَدْ..
سأُحرِّضُ الدُّنيا
لأغرَقَ في الحُطامْ..
ويَدُسَّني ما بينَ منعَطَفٍ
وآخرَ
في الرُّغامِ وفي الظلامْ..
سأَعدُّ أنفاسي
ويسألُني الخَفيرُ عن الْتفاتي..
وعن الفُروضِ عن القُروضِ
عن الملامِحِ والسِّماتِ..
وعن الحضارةِ والخَفارةِ
واحتراقِ الكَبْسَلَةْ..
لأموتَ قبلَ الموتِ
ثمَّ تموتُ تحتَ الرَّملِ
كلُّ المُعضلةْ..

يا أيُّها المتهافتونَ على اللُّحومِ
ومنْ أطايبِ العظامْ..
حَمَلوا فأفْرَغْتُ الحفيظةَ
واستَدَرتُ لأُغنياتي..
وعلَيَّ مِنْ صبرِ الغُواةِ
دَمُ الجنايةِ والجُناةِ..
وعلَيَّ قَعْقَعَةُ الريّاحِ
على السّلاحِ
وكلُّ حَولٍ مُشكلةْ..
ليْ ما أشاءُ منَ الخواءِ
وللمقيمينَ الرّفَدْ..
وعلَيَّ ما أضفى الجليدُ
منَ الجَمَدْ..
صَبَرْتُ أطرافي لأُصغي
أو يصيخَ لصرختي أَحَدٌ
على هذا الجَلَدْ..
فرأيتُه أحَداً
توحَّدَ في محاربتي
وما عندي أحَدْ..
لَكَ ما تشاءُ من الدّعاءِ

من البكاءِ

من الدّماءِ

من التضرُّعِ والتوزُّعِ

بين حَلْقِ الآكلينَ

وحَلْقِ هذي المقصَلةْ..

لَكَ ما تُتيحُ وما تُريحُ

الحوقَلَةْ..

خَطِّطْ على الجسد اللَّعينِ

خلاصةَ البحرِ الأُجاجِ

وخُذْ بطاقةَ سائحٍ

ممهورةً بندى الحِمامْ..

ليُبارِكَ الملكُ المُبجَّلُ

خطوَكَ الهادي

إلى سُبُلِ السّلامْ..

إقرأْ عناوينَ الرجالِ

الفاتحينَ ديارَهم

والمشْعلينَ دثارَهم

والنائحينَ

على حروفِ البسمَلَةْ..

اللهُ،

يا ربَّ البريةِ والفَلا..
لاهُمَّ.. صلِّ على المَلا..
فَبِما جَنوا لبلادِهم
من طيِّباتِ..
يستأهلونَ عروشَهم
وكروشَهم
وصدى الثَّريدْ..
وصدى التغزُّلِ والقصيدْ..
وصدى التطلُّعِ
في عيونِ الغانياتِ..
لاهُمَّ صلِّ على البَلا..
فَبِما جَنى للأهلِ من حُمَّى
وأورَثَ من سَقامْ..
يستاهلُ الحَمْدَ الزُّعافَ
يُدافُ في مُرِّ الكلامْ..
لاهُمَّ.. صلِّ على بلادي..
فَبِما جَنَتْ
جُنَّتْ بلابلُها
وخوْفَها على الرَّغمِ الأعادي..
لاهُمَّ.. صلِّ فأنَّها

تستاهلُ الشكرَ الكثيرَ

من المُسالمِ والمُعادي..

لاهُمَّ

صَلِّ على دُعاةِ الأمنِ

أعداءُ الحروبْ..

فهمو بقيةُ إرثِنا الدّامي

وصُنَّاعُ السّلامْ..

وهمو نهايةُ أرضِنا

والأرضُ تأْذَنُ بالغروبْ..

أرَأيتَ أرضاً

تضحكُ الأقدارُ

من أقدارِها

وتَدرُّ طيناً طَيِّعاً؟..

لُعَبَاً مُصنَّعَةً

على قَدْرِ المَرامْ..

وتَدُرُّ حُزْناً فاقِعَ الألوانِ

قُدِّرَ

قَدْرَ ما يبغي السّلامُ

من الأنامْ..

وتَدرُّ طيناً طَيِّعاً

وَدَمَاً

يَدرُّ كما الغَمامْ..

وتَدُرُّ

يا هذي الضُّروعُ..

كلُّ التباشيرِ التي

احتَطَبَتْ أضالعَها الجُموعُ..

وتَدُرُّ طيناً طَيِّعاً

ودماً يلوبُ..

صُبّوا على آثارِهِ تَعَباً

فَبي مِنْ مَسِّه

مَسَّ اللَّغوبُ..

جاءوا فأمطرَتِ الدَّقائقُ

مَيِّتٌ في إثْرِ مَيْتْ..

وأنا العَصيُّ على الهوى

كنتُ أرتَميتْ..

وبيرمِ فارَتْ

تحتَ جنبَيَّ الحروبُ..

وجَّهتُ صاريتي لشاطئها

فشاطئُها عجيبُ..

ومن الخِوَرنقِ للسّدير

من السّديرِ إلى الخورنَقْ..
عفَّرْتُ متراساً فخندقْ..
ثم متراساً فخندقْ
وبِقَدْرِ ما يبغي التّقاتلُ
قَدْرِ ما يبغي اللزومُ
أو الوجوبُ..
ما بيننا قامتْ حروبُ..
ما بيننا قامت دروبُ..
فأردتُ تسميَةَ النّياسِمِ
أرتقي صخْرَ المضيقِ
إلى المضيقِ..
لأصُبَّ من عَرَقي
لأشجارِ السّهولِ
وأشتري موتي
وأغرَقَ في حريقي..
لا هُمَّ..
صَلِّ على الشّروقِ..
يمتدُّ من صيدا
إلى يافا
ويدفعُهُ الدُّعاةُ إلى الأمانْ..

قصداً عُروبيَّ الهوى
يرتادُ أكتافَ الرِّياحِ
لكي تُرَجَّ الزّلزَلَةْ..
وتحُطَّ راجمةُ الدّخانِ
المُذهِلةْ..
تدعوكَ عن بُعدٍ
لتُشعِلَ نارَها
وتردَّ عنكَ البَلبَلةْ..
أتَرُدُّ قبلةَ عاشقٍ؟.
وجَدَ الطريقَ لبابِ دارِكَ
فوقَ عصفِ القنبلةْ؟..
لا تُمَّ
صَلِّ على الجوابِ..
لا تُمَّ
صَلِّ على السؤالِ
فقد تحيَّرَ وهْوَ يلهَثُ
من مئاتِ الأسئلةْ..
فمِنَ المتاجرِ للمُرابي..
ومِنَ التطلُّعِ للسّرابِ
إلى التطلُّعِ في الترابِ..

هَطَلَ الغَمامُ

على الغَمامْ..

وبِما جَنى هذا الخرابُ

من الخرابِ..

نَزلوا إلينا بالسَّخامْ..

وبِما حوى،

مَلأوا يدينا بالرُّغامْ..

لا هُمَّ.. صَلِّ إذنْ علينا..

واسفَحْ على الأرضِ

المحبةَ والسّلامْ..

* * * * *

لَكَ ما تشاءُ

من السّكوتِ

أو الكلامْ..

لَكَ ما تشاءُ

وليسَ ثمةَ مُشكلةْ..

سبحانَ مَنْ يحيي العظامْ..

سبحانَ هذا الموت

يحملُ مِعولَهْ..

فهو الطريقُ إلى الوراءِ
هو الطريقُ
إلى الأمامْ..
وله السلام...
وعليك يا قمر العشية
أن تنامْ...
وعليكَ يا قمرَ العشية
أن تنامْ...
وعليكَ يا قمرَ العشيّةِ
أن تغيبَ
فأمسِ أتعَبَني السَهَرْ..
وأريدُ أن أحتاطَ في نومي
لأحفرَ في جداري..
وأريدُ أن أغفو
ليتبعَني نهاري..
وأريدُ
أنْ أنسى
فقُلْ
أينَ المَفَرْ..

الذي والتي..
ومحلُّ دمي من الإعراب

كلّما هَدَأتْ عاصفةْ..
أتأمّلُ وجهَ بلادي
واستغفر الله عمّا يريبْ..
أو ليستْ بلادي التي أرضعتْ
والتي نزَّ من حلمتيها الحليبْ..؟
أوليست بلادي التيْ..
بهواها مشينا على الجُلجلةْ..؟
وتعلّق أوّلُنا بمناسيبها..
وتعلّق أوسطُنا بشآبيبها..
وتعلّقَ آخرُنا
فوق حدّ الصليبْ..؟

* * *

كلّما مرّتِ العاصفةْ..
أتأمّلُ وجه بلادي
ووجهي بمرآتها
وأداري الخجلْ..
أنْ أكونَ أنا العاشقُ المستهامُ
وأُخدعُ بالعاطفةْ..
فبلادي التي
أكل الحزنُ أردانَها
وتعثّرَ فيها الوَجَلْ..
وبلادي التيْ..
ليس لي من هواها نصيبْ..
ويفيضُ بشطآنها عسلٌ
وتعدُ الذّنوبْ..
ستبيضُ على قرن ثورٍ
إذا ما الهلالُ اكتملْ..

* * *

يا هواي العجيبْ..

خرَّ من صعقة الحزنِ

حتى البجلْ..

وصحابُ دمي شرّقوا

بين صوبينِ

من جَلَلٍ فادحٍ

ومصابٍ جَلَلْ..

وصحابُ دمي غرّبوا..

بين حولينِ

من قسمةٍ أو نصيبْ..

أَوْ دَعُوني إلى وَجَلي

ومضوا بالعَجَلْ..

يا هواي الغريبْ..

يخطئُ المرءُ في حظّهِ

أو يصيبْ..

والمصيبونَ في شوطهم

أشعلوا الشوطَ

حتى استشاط التَعَبْ..

وأصابوا بأحلامهم

عاتيات المنى

وأصابوا بآثامهم

عاتيات الدروبْ..

جثةُ الحلم مملوءةٌ بالثقوبْ..

تأخذ الفأسُ حصتّها

والبقايا حطبْ..

أيَّهذا الغَضَبْ..

يا الرثاءُ،

الهجاءُ،

الرضا

يا الزَعَلْ..

يا اكتمال النسيبِ

ومُرَّ الغَزَلْ..

دارتِ الأرضُ دورتَها

فتلمَّستُ أسبابها

كي أفرَّ إليها

وامسكها بالذي يُحتَمَلْ..

غير أنَّ البقايا الّتيْ..

هي من حصتيْ..

مسَّ منها اللّغوبْ..

أأردُّ غوايتها وأسدُّ الخللْ؟

وهي غرٌّ لعوبْ..

تتملّصُ من سببٍ

وتُقيمُ على سببٍ مُنْتَحَلْ..

يا بلادي التيْ..

أنا من لحمها

وسمائي التيْ..

أنا من فحمها

وضياعي الذيْ.

سدَّ عني الدروبْ..

وأسدُّ عليه العَتَبْ..

يا بلادي التيْ أحْصَنَتْ..

والّذينْ..

أحصنوا جوعهم أجمعينْ..

يا هوى الراكبينَ

هوى المتعبينَ

هوى الرّاجِلة..

أأهزُّ عليكِ المنافي

لأجفَلَ من وجهكِ القابلةْ..؟

كم أسمّي لكِ الموتَ،

كي تفهمي ما أعاني..؟

وأرسمُ في الأفقِ بارقةً للمطرْ..

وتبشّرني بجراحي التّيْ..

تستوي والكثيرْ..

فهي لوّاحةٌ للبشرْ..

قصرٌ من جنحها أول الغيثِ

حتّى تكسّرَ صوتُ النفيرْ..

وهي تسألُنيْ علّنْي..

أجدُ الصحوَ

بين الذيْ والتي المقبلةْ..

علّـيْ..

أتكدّسُ بين المقادير

أبحثُ عن زلزلةْ..

كيفما طافَ طائفُها

كائناً مَنْ تكونْ..

أيُّهذا التلفُّتُ والوهمُ

هذا التوزّعُ والفهمُ

هذا التعثّر عند المسيّر..

أيّهذي الظنونْ..

يَتُها المهزلةْ..

لم تكنْ غلطتيْ

والرجالُ كحقلِ البَصلْ.

وهمو طيّبونْ..

تتخطَّفُ أبصارهم بالعَجَلْ..

وتخطَّفْتُ حدّ الجنونِ

تَرَحَّلتُ حدّ الخَبَلْ..

* * *

أيُّهذا الفتى..

قد نراكَ تقلّبُ وجهَكَ

ذاتَ اليمينِ وذاتَ الشمالْ..

ليس ثمّةَ شيءٌ يُقالْ..

مادَ من وَطأةِ الخوف
حتى الجَبَلْ..
أيُّهذا الصبورُ، الوقورُ
الشكورُ، الجَمَلْ..
أيُّهذا المعلّقُ بين الثرى،
وطلوعِ الثريّا،
وتحملُ فوقَ الذي يُحتَمَلْ..
لو تدرُّ السماءَ بأذيالِها..
إنه محضُ آلٍ بعيدْ..
سمعُهُ حجرٌ
ولَهُ بصرٌ من حديدْ..
يا بلادي التي أتأمّلُ مرآتَها
وأداري الخجَلْ..
وتعلّقتُ بالطائفينَ
وأمسكتُ بالحرِّ والقرِّ،
بالموتِ حتى طما وأبتَذَلْ..
وتكشّفَ عنكِ الغطاءْ..
يا بلادي التي أتأملُ مرآتها

وأداري البكاءْ..

إنّها كربلاءْ..

غربةُ الروحِ

بين النوى والنُوَبْ..

يا بلادي التي تكتم العاصفةْ..

وتداريْ اللهبْ..

يا بلادي التي أكل الحزن أردانها

وتعثّر فيها الوجلْ..

يا بلادي التي

أخطأ الآخرون الهوى

واحتملنا هواها

وكان لنا من لظاها نصيبْ..

سنفيضُ على كل فجٍّ

إذا ما الهلالُ اكتملْ..

سُبُحات

في حرائق الروح

باسمِكَ يا وطني
يا سينَ العَدْلِ
وسهمَ العَدْلِ
وكحلَ حبيبي...
باسمكَ أستفتحُ سِفْرَ النارِ
أحاولُ بحرَ أَثَامي
ــ في هذا العمرِ العابسِ ــ
يا حلوَ ذنوبي...
يا راحةَ (الهيلِ)
على عَتَمِ الليلِ
وجرحَ الميلَةِ

والمَيلِ بحظي ونصيبي...

يا جرحاً يتعوسَجُ

حول مداخلِ روحي

كائنةً ما كانت

في ذاكرةِ الوجعِ المرِّ

وحيث تكونْ...

جرحَ (أُبوذيّاتٍ)

يحملُها (المشحوفُ)

لوحشةِ (برديٍّ) محزونْ...

يا وطنَ الحزنِ الأوّلِ

مُذْ رَفَّ على وجهِ الغَمْرِ

ويا فيضَ طُيوبِ..

يا مَنْ تشرقُ في زحمتِكَ الأحناءُ

ويندى

في رحتمِك الحمأُ المسنونْ...

سأعيذُكَ

أن تتكأَ ذاكرةَ الصبرِ

وتتركَني

للقلقِ المجنونْ...

لا تتركْني

لطواويسَ من الملحِ

وأشلاءِ قمرْ...

لا تتركْني لدمٍ

يحرقُ أطرافَ الشوقِ

بنافذةِ الليلِ

فنافذةُ الليلِ حجرْ...

لا تتركْني للحبِّ

فأنّ الحبَّ زؤامْ...

نَفّضَ أزهارَ النيرانِ

ببستانِ الروحِ

وكانت برداً وسلامْ...

تتهجَّسُ نبضَ حرائقها

وتنسُّ مع اليَبَسِ المرِّ

كأنَّ لها في الجمر وَطَرْ...

آخذةً بحلاقيم الصبرِ

وآلافِ الأحلامْ...

باللّيلِ الدامسِ

والصبحِ الخانسِ

والعصفورِ النمَّامْ...

سأعوذُ بربّ الناسِ

من الوسواسِ الخنّاسِ

ومن شرِّ الظلمةِ والظُلاَّمْ...

هذا أمرٌ

دُبِّرَ والناسُ نيامْ...

حَدَّ القاتلُ شفرَتَهُ

وتدثَّرَ في الظلمةِ

غولٌ وَهَوَامْ...

أمرٌ دُبِّرَ في الليلِ

وأشهدُ أنهموا ولَغوا

بدمانا... الأعداءُ

هل صار الدمُ ماءً؟.. الأهوالُ

وجعلنا لوليّ الدم سلطاناً... الأعمامُ..

وجعلنا للدمِ

صوتاً مسموعْ...

وسيسرفُ في العصفِ
إلى أن يورقَ
هذا القلبُ المفجوعْ...
فالدم جوعْ..
جوعٌ يزحَمُ كلَّ العتباتِ
ويذبحُ كلّ الافهامْ...
أرأيتم وطناً
يشخَبُ حتى قدميهِ
ويكظمُ دون كلامْ؟...
أرأيتم جرحاً أسودْ؟...
أسودَ من لون البترولِ
وأسودَ من حقدِ البترولِ
وأسودَ من وجهِ العارِ الأسودْ...
أرأيتم كيف تجفُّ الصفحاتُ
وتُرفعْ عنها الأقلامْ؟...
فمنى تنطقُ مدخنةُ العصرِ المكسورِ
وأرصفةُ الحبِ المغدورِ
وأفئدةُ العشّاق الأيتامْ؟...

مَنْ صُلِبوا

آناءَ النصرِ وآناءَ الأوهامْ...

أو ذُبِحوا

في اللغوِ الفاتك

والصمت الشتَّامْ..

أرأيتم كيف يتيهُ المجدُ

وترتفعُ الأعلامْ؟...

فلتنطقْ يا صبحَ البكّائينَ

وليلَ المشّائينَ

ولفحَ الموتِ الأبرَدْ...

وجعلنا لكَ كابوساً

من مطرٍ أسودْ...

كي يحطبَ هذا الحطبَ اليابسَ

والليلَ الدامسَ

والحظَّ الأنكَدْ...

ليرفَّ بوجهِ سماءٍ دامية

عَتَماً وسَخامْ...

سألوذُ بِحرِّكَ يا قيظَ دمي

فالأفقُ حُطامْ...

أسمعُ نبضَ الحُلُمِ الواشي

وحفيفَ الخضرةِ

في الشجرِ الأجرَدْ...

أسمعُ جيلاً مكسوراً يتهجَّدْ...

وأحنُّ إلى مَنْ تُطفئُ

حرَّ جبيني

بحريقِ أصابعِها حتى أبْرَدْ...

حتى أُسْحَلَ

قبلَ النومِ المسحولِ

وأُقتلَ

قبلَ الوجَعِ المقتولِ

تهدهدُني لأنامْ...

وطني كانَ ولا زالَ

كما أعرفُهُ

عبقَ الشَّمامْ...

وطني فصلُ غناءٍ

و(عتابةْ)...

وربابةُ حزنٍ

يذبحها (النايلُ)

في ليل العشّاق

وصوتُ (مقامْ)..

وطني

برموش حبيبي ألمحُهُ..

حيث يعرِّشُ طَلْعُ الكافورِ

ويحتضن الصبحَ

هديلُ حمامْ..

وطني ظلَّ برغم حرائقِهِ

وحرائقِ روحي

بَرداً وسلام

هوامش:

الهيل: حبّاتٌ توضعُ في دلالِ القهوة لتعطيها رائحةً طيبة

المشحوف: قاربٌ يستخدمه سكانُ منطقة الأهوار في جنوب العــراق في تنقلاتهم فوق المسطّحاتِ المائيةِ الواسعةِ التي يسكنونها

أبو ذيّات / النايل/ مقام/ عتابة:

أسماءٌ لبعض أنواع الغناء الريفي العراقي

أحاول مدخلاً

وأشاغلُ الحراس

لأنّي عالقٌ في الحزنِ،
أجرحُ دمعتي
وأُسيلُ أبراجي...
لأنّي غارقٌ،
والصبرُ يكتمُني،
سأكتمُ سرَّهُ ما بين أدراجي..
فقد ضاع الدليلُ
وضيَّعتْ كلُّ الدلائلِ
صورةَ الوقتِ...
وحين استأسدتْ كِسَرُ المخاوفِ
في تفاصيلِ الضلوعِ،

وقشّرتْ صوتي...

نزفتُ على المرايا جدولينِ،

فأجفلا هَرَبا..

وحاولتُ التعلُّلَ

واستدَرتُ لمحنتي،

وصنعتُ منها محنةً عَجَبَاْ..

أعوذُ بربِّها،

من شرِّ ما نَفَثَتْ عيونُ الخوفِ

في وسواسِها حِقَباْ..

وفي أيّامها،

تلك التي ضاعتْ على الجَمَراتِ

من أحَدٍ إلى سبتِ..

.....

لأني عالقٌ بالموتِ

وَزَّعني التأرجحُ

بين معراجٍ ومعراجِ..

أحاولُ مدخلاً

لأشاغلَ الحرّاسَ

أخمط هبوةَ النارَ التي تأتي..
أعوذُ بجمرها
من شرِّ حاقدِها
وعاقِدها
ومن صمتي..

ومن غازٍ
إلى غازٍ
يطالبني بوجه بطاقتي
فأعودُ مذبوحاً إلى بيتي..

.....

.....

(متى تتنزّلُ الرحماتُ
يا وطني..
وأشبِكُ راحتيَّ براحتيكَ
وأستريحُ؟..
وهل يُفدى ذبيحٌ من رؤاهُ؟
أنا الذّبيحُ..
وتكسرني رؤايَ

تفيضُ في دميَ الهوامشُ
والشروحُ..
أفي حلقي دمٌ هَمَلٌ؟
وفي لَضْمي بحلقِ الموتِ
مجنونٌ يصيحُ؟..)
.....
.....
فيا وَهْماً رماديَ العيونِ،
عساهُ لم يألَفْ دمي،
وعسايَ لم آلَفْكِ أنتِ..
ويا حلماً خَصفتُ عليه
من ورقي وشيطاني
ومن حظّي وبختي...
تعوّدتُ التَمَتْرُسَ
في احتدام الإثمِ
والثمرِ المحرّمِ في فمِ الثعبانْ...
أنا الملكُ المضلّلُ،
في يدي من صولجانِ الفُلْكِ

خاصرةٌ

وبي ما يقلقُ الرُبّانْ..

سأنقرُ في عيونِ الريحِ

علَّ الريحَ

ترسلُ عصفَها

يوماً فترديني..

وأنقرُ في المواجعِ

عهدها والبحرِ ــ يصطخبانِ ــ

شدَّ العسْفِ واللّينِ..

فيا نُذُرَ المرابعِ

أمطري للتينِ،

واحْتَبِسي لظىً

في زيتِ زيتوني..

دعيني أحرق الغيماتِ

علَّ النارَ

توقظُ صُفرةَ الأرطابِ

في صبرِ العراجينِ..

وصبِّي آبَكِ اللّهبانَ

في أكوابِ تشريني...

.....

أمِنْ عَسَسِ إلى حَرَسٍ

إلى لُجَجٍ وأفواجِ..؟

تفوجُ عواسج الظلماتِ وَقْداً

خلقُهُ نارٌ وصلصالُ..؟

تعوّدت التشرّقَ والتغرّبَ

شرّقي أو غرّبي

سيجُنُّ بِلْبالُ..

خذي حطبَ الخريفِ

وأشعلي الحطّابْ..

خذي غابي وصابي كلّهُ

والقوسَ والنشّابْ..

وفأسي

يوم تُرهِفُ حدَّها

واللّيلُ سربالُ..

.....

خذيني لم أعُدْ أقوى

على حزني..

خذيني صار هذا الضيّمُ

ملءَ العينِ والأذنِ..

وصرتُ أنا

خلاصةَ هذه الأسوارِ،

محتفلاً بأسواري..

خذيني أنتِ يا وجعي..

سلاماً مثلَ أعذاري..

سلاماً مثلما رفّتْ

على جرحي حماماتٌ،

وغنّتْ هذه الدارُ..

سلاماً مثلما انكسرتْ..

سماواتٌ وأقدارٌ وأقمارُ..

فلا نامتْ عيونُ النارِ

يا نارُ..

ولا نامَ المحبّونَ

استفاقوا من محبّتِهم

ولا نِمتِ..

فكوني مثلما أنتِ..
لنسخرَ مثلما كنّا
غريرينِ
استباحا غفلةَ الوقتِ..
غريرينِ استماحا
كلَّ ما لمّت عيون الموتِ
من موتِ...

واكتوت جمرتي بالغواة

وقالوا تعالْ..

بينَ تفّاحةِ الإثمِ
أو صُفرةِ البرتقالْ...
وجعٌ لا يقالْ...
كيف أبدأُ مرثيّتي..
برزخٌ يَسَعُ الخلقَ،
أوضارُهُ في تفاصيلِ أظفارِهِ،
والبقايا لأصفارِهِ،
لا اليمينُ وأصحابُهُ يشفعونَ،
ولا يدفعونَ
فكيفَ الشمالْ...

وتَذكَّرتُ

قبل ارتفاعِ الستارةِ

حدّوا سكاكينَهم...

وتناخوا لذبحكَ

عمّاً وخالْ ...

كيف أبدأ مرثيّتي؟

ناكرٌ ونَكيرْ...

ويصيحانِ من ربُّكِ الآنَ؟

مَنْ.؟

أيُّهذا الكسيرْ...

أيُّهذي البلادِ التي

أتقَنَتْ مفرداتِ هجائي

وأتقنتُ فوق الصراطِ

إليها المسيرْ...

وجعي يَسَعُ الحشْرَ،

والصُورُ ينفخُ أوداجَهُ

كيف متُّ بِهِ ميتتينْ..؟

كيف بعثَرتُ

ما كان من حُلُمٍ

في اليدينْ..

لم أكنْ أحْسِنُ العومَ

بين اثنتينْ...

فالذي يُحْسِنُ القفزَ بينهما

فازَ بالحسنيينْ...

فاز بالشَفْعِ والوَتْرِ،

إيلافُهُ رحلةَ الغُرْمِ والغُنْمِ،

صيفَ الشتاءِ

وحيفَ الربيعْ...

يومَ أمّنه الحسمُ

أن يعرفَ الخوفَ

أو أن يجوعْ...

أتقلّبُ كفيك عن جنّةٍ

وهي خاويةٌ

أنْ تضيعْ؟...

كيفَ فرّطتَ في جمرِها؟

ويقولانِ ما زَودُك اليومَ؟

هذا المزادُ يضمُّ الجميعْ...

العروشُ تسومُ عرائشها

والكروشُ،

وفي هَمهَماتِ القطيعْ...

شاطرٌ

من يُخطّيءُ أطرافَهُ

أو يُوطّيءُ اكتافَهُ

أو يبيعْ..

فأجبْ أيّهذا الغريرْ...

كيف تبدأ حيثُ الخراب

اكتملْ...

أتحاولُ أن تتقنَ السحرَ؟

إذْ بَلْبَلَ الحشرُ كلَّ الجهاتِ

وقد هَلْهَلَ الشعرُ

كلَّ اللغاتِ

وغابَ الشفيعْ...

أتحاولُ أن تحفُنَ الجمْرَ؟

أم تدفِنَ البحرَ؟

كيف العملْ؟..

إنّه الصبرُ أدْمَتْ فرائضُهُ

بالحرامِ الحلالْ...

الخطايا مُثَقلةٌ

والنوايا مُحَمّلةٌ

والنّجاءُ احتمالْ..

النكيرانِ حولكَ

كيفَ تردُّ المقالْ...؟

ألكل امرئ ما نوى واحتملْ؟...

واحتملتُ

فتّشُ عن مصرعٍ

يسَعُ الحزنَ

أبدأ مرثيّتي

والنواطيرُ خلفي

ووهمُ المصيرْ..

إنَّ لي وطناً

يوم آليتُ أن لا أبيع هواهُ

توعّدني بالكثيرْ...

كنت أشهقُ

حين أردُّ الخناجرَ

عن جانحيهِ

وأذهلُ عن سهمِهِ

في حريقِ الزفيرْ...

كان لي ظَلَلاً وضلالْ...

ولكل امرئ

سائقٌ ودليلْ...

ولَهُ ميتةٌ

ثم عددّتُ آثامَ أبنائنا

وجرائَر آبائنا

وذنوب النخيلْ...

ثمّ عمّدتُ

حلم الفراشاتِ بالشمسِ

ــ صبحَ الندى ــ

وعناقَ الفراتِ لدجلةَ

عند المَصَبْ...

وترددّتُ شرقاً وغرباً

وعلى الجنّ

في الجزر الخالداتِ

نزلتُ

على الإنسِ في المدن العامراتِ

على التّيهِ،

في لتّيهِ

عددّتُ حتى بلاد العَرَبْ..

وتعذبت في السهو واللهو

خوّضتُ باللغو

حَدَّ الرُكَبْ...

لأقولَ اعذري يا بلادَ المنَونْ..

وأقولَ اصبري

يا بلادَ العجَبْ...

ضيّعونا

ضاعَ المحبونَ

ضاع الخليّونَ

ضاع المسبّبُ

ضاع السببْ...

ليس (صرحاً ممرّداً

من قواريرَ)

قلتُ أعبري

ملأ الدّودُ أكنافَنا...

وابتلينا بأكتافِنا

تزحمُ الموتَ عندَ المَهَبْ...

ولحدٍّ انطفاءِ الغشاوةِ

يومَ النَّفيرْ..

تدخلُ الأرضُ سَمَّ الخياطِ

وأخرجُها لأعيدَ المقالْ..

ها هما ناكرٌ ونكيرْ..

كيف أبدأ مرثيّتي،

ــ واللسانُ العطبْ ــ

ألسؤالُ يجرُّ السؤالَ

فأين إذنْ ألتقيكِ

وكيفَ يكونُ الهَرَبْ؟...

لا فضاءَ سوى وحشتي

في فمِ المجزرةْ...
وارتجالِ المنى والخصامْ..
(صرتُ أكبرُ عاماً فعامْ)..
وأصافي القصيدةَ حتى أقعْ..
آثماً
يوم صدّقتُ شيطانَها..
آثماً
يوم أمسكتُ حدَّ الوجعْ..
يوم ناغيتُها
(ثم أغويتُ رمَّانَها)
أثقَلَ الليلُ أجنحتي بالفزعْ..
(كان حسنَ الختامْ.....
..... طائرٌ في ظلامْ)..

فاصفري ما تشائينَ

أيّتها القبّرةْ..

نَقّري ما تشائينَ

(إذْ تنقرينْ)..

واصفِري ما تشائينَ

(إذْ تصفِرينْ)..

في فجاجِ الرؤى

وعذاباتِنا أجمعينْ..

في العباراتِ مشبوحةً بالكلامْ..

كمُدىً تخدشُ الصمتَ

(في آخرِ الصمتِ)

ذوقي مرارتَها والحِمامْ..

كمدَىً (يَخرشُ الموتَ)

جوبي مفازتهُ المقفرةْ..

يا محاريثَ ذاكرتي ودمي..

(يَتُها المقبرةْ)..

أحرقي الحرثَ والنسلَ

وادْمي الرُّغامْ

آهِ من وجعٍ

طالَ حتى العظامْ..

آهِ من وجعٍ

شاخصٍ بوجوهِ المرايا

يطالعُني..

(مثلما يفعلُ الآخرون)..

عالقاً بأزقَّةِ روحي

وجمرِ حرائقِها وزحامِ الغلسْ..

ممسكاً بالنفسْ..

.....

(هكذا تطفئُ الليلَ في جسدي

صافراتُ العَسَسْ)

.....

هكذا عسعستْ

راجماتُ الهواجسِ بالشامتينْ..

عندما تطفئ الطائراتُ نثارَ المواويلِ

(في أيّما ساعةٍ)

تطفئ الساكتينْ..

تطفئُ القانتينَ معي

ليموت الهواءْ..

(لتروغَ الأساطيلُ في بحرِها)

ويروغَ المساءْ..

أتظلُّ المساءآتُ تنشرُ أحراجَها..

والمحطاتُ تضفرُ

(حبلَ الغسيلِ المتينْ)؟..

لم يعُدْ لي سواهُ

(لينثرَني لدمي)..

أو أعودَ بهِ للوراءْ..

لأطلَّ على هامتي مِنْ سماهُ

(ومن ميتتي)

وأرى ما أشاءْ..

سأشاءُ

(من الأوّلين لأقصى رؤاهم)

ومن آخرِ الحالمينَ

إلى آخر الساهمينْ..

لأفتّشَ عن خَلَجاتِ (البساطيل)

بالأسبرينْ..

في مصداعِ الزوايا وبؤسِ المرايا

وهذا الدوارِ المكينْ..

لأكفّرَ عن فسحةٍ للرصاصْ..

(أدخلُ الرعبَ في قعقعاتِ تفاصيلها)

واحتفالِ دمي بالخلاصْ..

سأواري المهالكَ (حتى ممالكها)

وأواري السمواتِ

حَدَّ اكتمالِ الرَّمَقْ..

فالفضاءُ وشى بدمي..

(ودمُ العالمينْ)..

أقفلَ الخوفُ أبراجَهُ واختنقْ..

(هذه ساعةٌ فظّةٌ أيّهذا الضلالْ)..

يا حداءَ الأهلّةِ

هَلّتْ بكثبانها وبوارحِ أحزانها..

ولقاءَ السوانحِ

(عوّذتُها)

فاستعاذَ من الحملِ صبرُ الجمالْ..

(هذه ساعةٌ غضّةٌ)

من حميمِ اللظى وجحيمِ الظلالْ..

كلما قفزَتْ بقعةٌ

(من فروجِ عقاربِها)..

ضاع فيها المحبّونَ

خلفَ الندى (والصدى)..

ثم ضاقَ السؤالْ..

سادراً (في حماقاتِه ومَحاقاتِه)

غادراً

(لم يفُزْ بمواجعِ أحلامِنا)

غالَ وجهَ الهلالْ..

(والذي يقسمُ الضائعونَ بهِ)

لم يَعُدْ بعدها من هُزالْ..

والفيافي وما وَسِعَتْ...

والسّوافي وما اتّسَعَتْ..

(والدجى والفلقْ)..

الندى في غليلِ مساءاتِنا..

عطشٌ حارقٌ...

(والرّدى في ثقيل إساءآتنا)..

والقلقْ..

غالَ كلّ الحَدَقْ..

غالَ كلَّ المرايا الكسيفةِ

(مجنونةً بالخيالْ)..

غالَ بيّارتي..

ورنينَ العنادلِ في دارَتي..

وندى الصحوِ

(في صُفرةِ البرتقالْ)..

طالَ كلَّ الشهورِ التي انكسَرَتْ..

والعظامَ التي انجَبَرتْ..

والليالْ..

(طالَ حتى الجّنونْ)..

ونأى النّوءُ بالنّوءِ

(هل تسمعونْ)؟

أهي مطحنةُ الروحِ

تطحن أكنافَنا؟

أمْ تضاريفُ أكتافِنا تثقلُ اللومَ؟

أم (سَورةٌ مرةٌ)؟

أم (هديلُ حمامْ)؟..

لا فضاءَ سوى وحشتي

يوم آنستُ أظفارَها

كانَ لي عندها سببٌ وانقطَعْ..

كالَ لي ندَماً

في جدارِ المغاليقِ

(أخْمشُهُ)

ويساورُني بالضياءْ..

(هذه الأرضُ مقفلةٌ)..

(والسمواتٌ مقفلةٌ)..

وضراعاتُها مقفلةْ..

والهواءُ وشى بالهواءِ

ولا مقصلةْ..

.....

..... لا نديم سوى نَدَمي

وَغَرَ الحزنُ صدرَ الدماءْ..

نَكَأ الجرحَ

(هل تبصرونَ سجالَهما)؟..

يسحلُ الموتَ

بين الثّرى ومدار السماءْ..

لا نديم سوى نَدَمي..

أستغيثُ به وبهذي الذنوبْ..

وبما يزجرُ الطيرَ عن محنتي..

(والطيورُ على مثلها)

حيثُ تفرُدُ أشواطَها أو تقعْ..

(المجراتُ مزحومةٌ بالمغاليقِ)

لا الحزنُ يحضنُ حلمَ شَجاها

ولا يسجرُ الدمُ هذي البقعْ..

لا نديمَ سوى نَدَمي..

أستغيثُ به وبرب الغيوبْ..

تتهجّى كرامتَنا

وننادمُ أسمالَها

فعساها تجيبْ..

سيدة الجرح

لم تكنْ لي هكذا لكنّها..
أسلَمَتني أخرياتِ الوهمِ
وانداحتْ مع الهمِّ طويلاً..
لم أسائلْ سُبُحاتِ الخوفِ عنها..
والضُّحى والليلِ،
لم تسفحْ لي الليلَ
ولم تُجْدِ مع الصبحِ فتيلا..
ها أنا الآنَ أعانيها
وألظى بين حَدّيها
بجمري ورمادي..
مُحْدقاً بالصمتِ يَعْروها
ويعروني
فآهٍ منكَ يا جرحَ بلادي..

كيف تبقى واقفاً

من وطأةِ الملحِ؟

أيبقى الملحُ في مَسْرَبِ روحي

عارمَ الخطوِ ثقيلا..؟

أفيبنى

فاتحاً في الطينِ أحلاماً

ــ وفي جنبيّ رغم الضيمِ ــ

أفقاً مستحيلا..؟

.....

لم تقلْ لي هكذا يوماً

وعانَدْتُ المسافاتِ

بصُلحي وعِراكي..

قلتُ للنارِ أنا الغاوي

فيا عصفورةَ النارِ

متى في حُلْكَةِ النارِ أراكِ؟..

هأنا الآنَ أصيدُ الملحَ

والجُرحَ

وأدرو الموتَ من حرِّ شباكي..

لم تجبْني ضارياتُ الريحِ
أشرَعْتُ دمي
للخوضِ في صمتِ المفازات
العتيقةْ..
عاقرَتْ دهراً معي نافذةَ الحُلمِ
وعاقرتُ المجاهيلَ
ألَسنا في المجاهيلِ
غريقاً وغريقةْ؟..

.....

ها أنا الآنَ على بَرِّ هواكِ..
سُفُني مذبوحةُ الرّغبةِ
والموجُ احتراقْ...
ومعي جرُحي
وجرحي وطنٌ يُدعى عراقْ...
قال لي
إيّاكَ أن تبتلَّ بالحزنِ
وألقانيَ مكتوفاً إلى الحزنِ
وما حلَّ الوثاقْ..

قرَّبَ الأعمقَ

والأبعدَ من روحي

لأدنو من سماكِ..

ليُطيلَ الشوطَ في كَسْري

وفي جَبْري قليلاً..

حمَّلَ البحرَ

على راحلتي عِدْلاً

وأسماني عديلا..

.....

هاهو الأزرقُ مبحوحٌ

وهذا وترُ الصرخةِ

في قافيةِ البحرِ احمرارْ..

فإذا حالفْتِ صوتي

ستكونينَ معي سيّدةَ الجرحِ

وكم من مرّةٍ في الأفْقِ

صدَّقْتُ الدّوارْ..

لم أفرّقْ جسدي عن جسد البحرِ

فيا هذي البحارْ..

أكَلَتْ من غفلةِ الموجِ

وأوْدَتْ بالمحارْ..

.....

لم تكنْ لي

وتفاءلتُ بخدّيها

وما كنتُ بخيلا..

وتبدّلتُ

وما أبدلتُها واللهِ

أصفيتُ لها النجوى بديلا..

يالَذاكَ المدِّ

لم يصعدْ إلى نافذتي

وانزاحَ عن بابي وغابْ..

يالَذاكَ المدِّ في عينيكِ

لم يعرفْ دمي

حتى تسربلتُ خطاياهُ

وأضناني بأثقالِ الترابْ..

لم أعاتبْهُ

ولا أشفى ليَ الدهرَ غليلا..

ضاعَ مثلَ الريحِ

ما بينَ التخومْ..

أو جعلتْني بالصّباباتِ

وعافتّني لأحداقِ النّجومْ..

لطقوسِ الأرضِ

تجترُّ دمي مهراً

وأجترُّ لظاها..

لطقوسِ الخوفِ

حتى كثَّرتْني في سماها..

حائماً فوق سوافيها

على صحراء موتاها وَمَاها..

كي أراها..

وأبُلَّ الشوقَ والوجدَ قليلاً..

كي أراها..

قَبَساً في ظلمةِ الشيبِ

فصبراً

أيّها الشَّيبُ

لقد أوتفتَني عهداً

وأوتقتُ لكَ الصبرَ جميلا..

.....

سأراها

كلما الليلُ أناخَ الليلَ

في بابِ النهارْ..

سأراها عند صحراء دمي

زهرةَ الحلمِ الذي شاخَ

وشاخَتْ في مجاهيلِ القفارْ..

سأناغي وجهها الدامي

سأختَطُّ لعينيها سبيلاً..

سأراها

قاتلاً كنتُ على بابِ رؤاها

أو قتيلا..

سحائبُ حلمٍ مكسور

كان ويا ما كانْ..
واختلطَ الحابلُ بالنابلِ
من شتّى الألوان..
ما دَان على الغصنِ الأخضرِ
فزّاعٌ للطيرِ
فأفرَخَ هذا الرفُّ
وهذي الغربانْ..
عاشتْ بالدّوحِ فصوّحَ
وانفرطتْ حبّاتُ الرّمانْ..
قال الراوي:
شرّحَ اللهُ صدورَ الغاوينَ
وثبّتَ أقدامَ الغيِّ
ليغويَ كلَّ العشّاقِ

بهذي الأحزانْ..

الغصنُ يميدُ بآلافِ الأوجهِ

والأوجهُ آلافُ الأفواهِ

وكلُّ فمٍ

عشرةُ آلافِ لسانْ..

وبطرفةِ عينٍ

صرتُ أقلّبُ كفيَّ

على ما فرّطتمْ

وأراكم تتطفئونَ

أمامي ووراءي..

صارت

خَلَجاتُ الطينِ النازفِ

من عليينْ..

شمساً تتعسّرُ

بين بناتٍ وبنينْ..

بين دمٍ يختزنُ الصبرَ

وآخَرَ

يختزنُ المرَّ وحدَّ السكّينْ..

قال الراوي:

وأنا أصرخُ بالسّامعِ والرائي..

كانتْ صرخةَ حطّابٍ مكسورْ..

أكلَ الدهرُ أصابعَهُ

وانفرطتْ هَبَواتُ الجمرِ

وفارَ التنّورْ..

أسكارى أهلُ الطّورِ؟.

وما هم بسكارى

والتفّتْ سيقانُ الحشْرِ

ورفّتْ فوقَ الغَمْرِ

فرائضُ هذا القَدَرِ المسعورْ..

من أينَ تجيءُ

خرائبُ هذي الروحِ؟

ومِنْ أينَ اندَلَقَتْ خارطةُ الرؤيا

شائهةً؟

واختبأتْ خلفَ الجدرانْ..

تمسكُ خطَّ الطولِ

ليأخذَ منْ خطِّ العرضِ قليلاً

ويسدَّ ثقوبَ الأكوانْ..

القصّةُ من أوّلها

حتّى آخرِ فصلٍ مفجوعٍ

بنهايتِها

قَمَرٌ ملتصقٌ بالأرضِ

فلا يبرحُ أُفُقَ الأرضِ

وفيهِ من الغَيِّ بقيّه..

بَشَرٌ محشورٌ

في فمِ حوتيّه..

شَرَحَ اللهُ صدورَ الغاوينَ

وثبّتَ كلَّ مُريباتِ الأحزانْ..

أطمسهُنَّ بعشرةِ أوطانٍ سودٍ

وبقاياها

وأنثُّ عليهنَّ

سحائبَ حلمٍ مكسورْ..

في كسرةِ عظمٍ كاسرةٍ

تكسرُني

وأحدّثها عن جبلٍ يعصمُني

ويعدّدُ كلَّ الأسماءِ
أمامي وورائي..
لأعوذَ بهِ من وَطَري
وإطارِ العصفِ بنافذتي
وسمائي..
لأعوذَ به
من عشرةِ أثمانٍ باهظةٍ
للطينِ النازفِ
ينزفُ قصباً مجروحاً بالصمتِ
ومنكسراً بفضائي..
من نَفْرَةِ عصفورٍ مرتعبٍ
في ظلمةِ ديجورْ..
من وطنٍ صوّحَ مشدوداً
بزحامِ دمي في الصمتِ
وكان الصمتُ أمانْ..
قال الراوي:
فإذا اختلطَ الحابلُ بالنابلِ فيه
توكّلتُ بشمسٍ نازفةٍ

لأذودَ الطيرَ عن البستانْ..

أوكلْتُ بحصّتها

سُبُحاتِ الصّبرِ وحوصلتي..

وعليها

وعلى اللهِ التُكلانْ..

تعالَيْ يا ابنةَ الأحزانْ

عنوان قصيدة جديدة

سلاماً يا وِهادَ الصمتِ

يا هولاً من اليَبَسِ..

لقد باعَ العفاةُ لجوعهم جوعي

وباعوني..

بعيداً عن عيونِ الناسِ

والعَسَسِ..

تعوّدتُ التأرجحَ بالسؤالِ

عسى أضلّلهُ..

لأطفئَ ساعتي هَرَبا..

وكلُّ السوحِ تطفئُني

ويثمرُ طينُها غَرَبَا..

وأُسْكِتُها..

ألمحَ فسحةً فيها مع الغَلَسِ..

بلى يا هذهِ النَفَثاتُ

أمسَكَ حرُّكِ اللهبانُ بالنّفسِ؟.

* * *

سلاماً يا وهادَ الخوفِ

يا من ضلَّ ساريها..

مفازاتٍ من الصمتِ المدجّجِ

عشرةً بالصمتِ أُدميها..

تخاتلني مقاتلُها..

أبيعُ غوائلي فيها وأشريها..

نثرتُ لها ذرائعها لتشريني..

فأردتْني مخالبُ رُعبِها

من بعد ستيني..

فيالدماقةِ الطَعَناتِ

ناضت غيظَها عَجَباً..

وأسْمَتْ لي هنا وَطَناً

وساءتْ فيه منقَلَبا..

أُقَلِّبُها حماقاتٍ بكانوني..

وأبحرُ

في محيطٍ أحمرِ الحافاتِ

مسنونِ..

سلاماً أيّها الربّانُ

فالشطآنُ تُنحَرُ في شراييني..

سلاماً أيُّها البستانُ

والبستانُ صوَّحَ

أيُّها الرّمانُ

وانفرَطَتْ حماقاتُ الرّدى

وبلاهةُ التينِ..

أكلُّ السوحِ تطفئُني

ويثمرُ صبرُها حَطَبا..؟

لعلّي قد نسيتُ الصبرَ

جَسَّ دمي

وعادَ لبحرِهِ سَرَبا..

وحمَّلَني مواجدَهُ

ووزرَ حريقِهِ للبحرِ

إنَّ البحرَ حمّالُ..

وقيَّدني
ببوصلةِ الهواجسِ
يصطفي لومي
وقومي
حيثما مالوا..
ومعركتي مع الأشباحْ..
وقلبي
وهو ملِحاحٌ وسَأآلُ..
عن الموتِ الذي
يستقطرُ الأرواحْ..
وعن شبّاكِ ذاكرتي
وكم ناءت صحاريها بحاديها..
وضيَّعَتِ السوانحَ والبوارحَ
واستباها رملُها تيها..
عن الشوقِ المعتَّقِ
في عتيقِ الضوءِ
والضوءِ الذي شَحُبا..
وإثمي يوم أغواني وأدماني

وأغلَقَ بابَهُ عنّي
وأشجى القفلَ والمفتاحْ..

* * *

سلاماً يا شياطينَ النّدى
وغرارةَ التفّاحْ..
أمِنْ نارٍ خلقتِ دمي؟.
ومن طينٍ خلقتِ غوايتي
وأمَتّتي فيها؟..
ولا ماءٌ ولا بَشَرٌ
ولا بشرى تخاصرني
لأكسرَ خاطرَ الدنيا وأرديها..
قضى وادي العقيقِ
لخمرةِ الإبريقِ
هذا السكرُ يشربُ من تراقيها..
وقيلَ اهبطْ
وخوِّض في دبيبِ حريقها
يا حاملَ الأقداحْ..
هو الجرحُ العتيقُ

يئنُّ من نبأ

ومن سبأ وما فيها..

هو البابُ العتيقُ يئنُّ

من صدأٍ

ومن تعَبِ..

إليكَ المشكتى

فأمْنُنْ عليَّ بها محرِّقَةً

ولا تَغِبِ..

تعوّدتُ التأرجحَ

فوق متراسٍ يخاصرُني

ومتراسٍ يحاصرُني

وهدي جِنَّةُ الأيامِ

أذبُحها وأسقيها..

وأقرعُها بحرِّ هواجسي

وبكلِّ ما فيها..

أأهدرُ ما تبقّى

في حروبِ الخوفِ

يا معسولَةَ الرُّطَبِ؟.

أيسخو النخلُ

بعد جَمارِ ذاكَ الطلعِ؟.

فاقتربي..

كما ولدتكِ أُمُّكِ يوم قارعتي

جديباً هادراً

بالملحِ والأحزانْ..

تعالَيْ نبتدئ

من رغوةِ الثلجِ الحبيسِ

لنوقظَ البركانْ..

مكيناً قد تمكّنَ عاصفانا



كانَ يا ما كانْ..

وكانَ النقعُ

والتَمعَتْ عيونُ النقعِ

في البقعِ الكليمةِ

واستثيرتْ غلمةُ الوديانْ..

تعالَيْ للمفاوزِ

أغرقتنا عاطباً عَطَبا..

مكياً كان وقعُ الحلمِ
ظلَّ الأفقُ محنيّاً
على الأحلامِ
محروباً ومُحْتَرِبا..
تعالي يا ابنةَ
الأثقالِ والأقفالِ والألوانْ..
مكياً كان وقعُ الماءِ
واحتدمَتْ حنايا الروحِ
في جمرِ السمواتِ العُلى
وارتجَّتِ الأكوانْ..

* * *

أنا يا صاحبَ الأُخرى
وربَّ النارْ..
وربَّ الجمرةِ الأولى
عَتَتْ في مستقرِّ الروحِ
لاهةً
وماتت شهوة الأمطار..
أنا يا صاحبَ اللفتاتِ

والترحالِ والحلِّ..

وقد خَطَرَتْ شروخُ الريحِ

وانهمَرَتْ عوارضُها الهتونُ

وحلّلتْ قتلي..

أنا يا صاحبَ الفدي الذّبيحِ

حملتُ صلباني

فَتُلَّ جبينَها

واصدغْ،

فقد صَدَعَتْ عليكَ

مروءةُ المسمارِ

يا ضعفي ويا ذلّي..

متى يوماً أراكَ

علامتي وقيامتي؟

أألوذُ بالكلماتِ

من شمسي

ومِن ظلّي؟..

أُفتّشُ عنكَ طولَ العمرِ

في سفحٍ

وفي جبلٍ

وفي تلٍّ..

* * *

أما من فسحةٍ للريحِ

أعبرُ شوطَها هَرَبا؟..

لقد حمَّلْتني تَعَباً

وقد حُمِّلْتُها نَصَبا..

أما من مزحةٍ أُخرى

أسومُ ثمارَها

ويُثيبُها اللهُ؟..

عبرنا التيهَ وانفرَجَتْ

ساريرُ الدمِ الولهانِ

بعناها وبعناهُ..

وما أفضَتْ مهازلُها

بما امتلأتْ لنفضيها..

وما أبقتْ لهذا الشّيبِ

لا زهواً ولا تيهاً..

وما أبقتْ لهذي الأرضِ

إلاَّ الأرضَ تؤذيها..

وما أبقتْ

ولا أدنَتْ لها قمراً..

ولا سلوى ولا نجوى..

ولا غيماً ولا مطراً..

أيبقى الصبرُ مشبوحاً

ببابِ الصبرِ منتظرا؟..

للبحر ثانية

تبارَكَ مدخلُ الطّوفانِ
أحلاماً
وأعلاماً..
وجَرَّحَني دمي المصبوغُ
بالكافورِ
والمكتوبُ للتاريخِ
قُوَّاداً
وحُكَّاماً..

* * * *

أما جَرَّبتَ من منفى
إلى منفى عبرناهُ؟..

عَبرنا بعضَهُ رَكْضاً...
نقاضيهِ، نُقايضُهُ
ونَقيضهِ
بما يحتاجُ من صبرٍ
فلا يُقضى...
أما كُنّا
نُمَنّي ثوبَهُ الغجريَ
بالسُّنبلْ؟...
ونَنْسُجُ من ضفائِرِه...
دُمىً للطّيرِ كي تجفِلْ...
سَلوا الحزنَ الذي
حَزَّ الدمَ الطينَ
اسألوا الحُزنَ الذي
حَزَّ الدمَ البُلبُلْ...
خُذوهُ بالنَقيضينِ...
خُذوهُ واحمِلوا ديني...
فإنّي

لمْ أجِدْ في البحرِ
مِنْ ألواحْ...
خُذوا الدّربَ الذي
يستقرئُ الأشباحْ...
فقد كنّا شريكينِ..
وكانتْ فِتنةُ التفّاحْ...

* * *

وَداعاً قد تركناها..
وقَد شبَّتْ عن الأطواقْ...
لعينيها كَفافُ العشقِ
فالعشاقُ مقتولونَ.. والتاريخُ
مسفوحٌ على العَتَبةْ...
بِلا شَفَتينِ
أو عينينِ
أو نَجْدينِ
أو عَقَبةْ...

وَداعاً إنّها القَصَبةْ...
ذُبِحنا تحتَها ألفاً..
وكانَ الموتُ
بالأشعارِ
والأمتارِ
والأفتارِ
من أجلِ الصّراطِ المرِّ
والمنفى...

* * *

ومِنْ منفى
إلى منفى...
أُنَفِّضُ من ترابِ الرّوحِ
تأريخي وتكويني..
ومن منفى
إلى منفى...
أعُدُّ أصابعي جمراً
فتكويني...

ومن منفى إلى منفى...
أشقُّ مشيمَةَ الأرحامِ
عن حَرِّ الشّراييِن...
فتُجهضَني وترميني...
متى تندى جراحُ الأرضِ
يا صبرَ العناوينِ؟..

* * *

متى
تَتَعطَّرين جميلَتي
وينامُ حُرَّاسُكْ؟..
متى
ألقاكِ في جَرحي...
تسُدِّينَ النَّوافذَ
تغسلينَ البرقَ والأحلامْ؟..
وصدرُ الصَّبِ
متراسُكْ...
متى؟..

ستُعَدُّ أنفاسُكْ...

فقد باعَتْ سَجاحُ ولاءَها

لطليحَةَ الأسودْ...

وتاجَرَ فيك دلاّلوكِ

من كَهلٍ

ومِنْ أمردْ...

وتاجَرَ فيكِ أفراسُكْ...

تَجُرّينَ الخرائطَ

للبحارِ

كبُقعةِ الزّيتِ...

ويقتُلُني هواكِ هوىً

وينثُرُني...

ونُقْسَمُ كالخَراجِ دَماً

على طَبَقٍ مِنَ الموتِ...

متى تَتَجَمَّلين جميلَتي

بالكُحْلِ والمِعصَبْ؟..

وأعلُكُ في مسافاتي..

عَجاجَ الملحِ

كي ألقاكِ

يالَيلاي في مَهْرَبْ...

لأدفَعَ عنكِ من ظَمَئي...

ومِنْ بلوايَ كي نَشْرَبْ...

وأحبو

فوقَ حَدِّ السّيفِ

مشدوداً إلى خَطَئي

ولا أتعَبْ...

ونذهبُ حيثُما نذهبْ...

.....

أُعلِّمُكِ البلاغَةَ

كي تُناجيني...

وأقبُرُ ساعتي الأولى

لألقى موعِدَ الرُّمانِ

في أزهارِ رُمّاني

لتُعطيني...

سأكتُبُ عن خَرابِكِ

بالملايينِ...

وأكتُبُ

جَفَّتِ الأقلامُ

يا حِبرَ التشارينِ...

وأكتُبُ

حَلَّقَ الرخُّ الذي

لَفَّتْ بِهِ الدُّنيا...

وَلَفَّتْ بي

مع الرّحلاتِ للألفِ...

وظلّتْ شهرزادُ

تُداعبُ الجُدُرَ الزّجاجيّة...

وما فقَسَتْ حكاياتي

ولا ديك الصباحِ

وطائرُ الخوفِ...

سأكتُبُ

عن سبايا النَزْفِ للنَزْفِ...

وعَنَّا

حيثُما نشتاقُ للأبحارِ

للنيرانِ

نوقِدُها على جُزُرٍ خُرافيّةْ...
ونرسو فوقَ حوتيّةْ...
تنامُ بظهرِها الغاباتْ...
فهذا الموتُ سُخريّةْ...
وملاّحوهُ قد نَقَروا
على المَركَبْ...
لنَغْرَقَ حيثُما نذهبْ...
سنذهبُ حيثُما نذهبْ...
ونغرَقُ
حيثُما شِئنا بِحُريّة...

مرثية لم تكتمل بعد

1 ـ رصاصة

تدخُلُ من نافذةٍ

تَتَخلّلُ لوحَ زجاجٍ

لا يَصدأُ

ثم تؤشّرُ موقعَها

خلفَ الرأسِ المُتَطاولِ

في الريحِ

وتفتحُ في أعماقِ جبينِكَ

قاموسَ البدْوِ

وبِزّتَها الملكيّةْ...

ما بينَ النَفَسِ الدّاخِلِ

والبارودِ

الساكنِ في عينيكَ

دروبٌ
لا تعرِفُ معنى الموتِ
وأُغنيةٌ صوفيّةْ...
أشجارٌ
تَتَناثرُ منها الأسماءُ
لتنضَمَّ
إلى الموجِ المُتَوحِّدِ
في جسدِ النّهرِ
وتعبُرُ.....
.....
(مَنْ أيقَظَ حوريّاتِ الموتِ
بهذا الصبحِ؟..
لِيُنْشدْنَ على إيقاعِ الدمِ،
والخيلُ تُسَرّحُ للموتِ
ضفائرَها الدّمويّةْ)
.....
(من أيقَظَ هذا الليلَ؟..
وشمسُ الليلِ
عَروسٌ في الهودَجِ

تنخي فرسانَ الصّبحِ
وأبناءَ القتلى المشدوهينْ)
.....
(مَنْ أيقَظَ حوريّاتِ النارِ
بهذا الموتِ؟
لِيُنشِدْنَ على إيقاعِ الدمِ
لا يتعَبُ إيقاعُ الدمِ...
لا تتعبُ حوريّاتُ النارِ
مِنَ الغَزَلِ النَّاريِّ...
ومن ألَقٍ يمرُقُ
في جسَدِ الرؤيا)
.....

2ـ لقاء

أقِمْ حوارَ الريحِ
كي تَحتلِبَ الغاباتُ
وعدَها
لوردةِ المَطَرْ...
لمُزنَةِ الضوءِ
الذي قَشَّرَنا

ومَدَّ بينَ كُوَّةِ الحُلْمِ
وأُوكسجينِها
خيطاً من الوردِ
وقامَتْ ساعةُ اللقاءْ..
لم يبقَ في عرشِ دمي
سوايَ
لَمَّتْني أباريقُ وضوئي
لصلاةِ الأرضِ
أمَّتْني فراشاتُ دمي
واستسلم الورد لفيضي...
وأنا أُسَبِّحُ الضيّاءْ...
تبارَكَ الوعدُ
وذا ثوبُ لقائي
حينَ أمتدُّ بِهِ برداً
ستَمتَدُّ على رفيفِهِ
زنبقة الفداء...
.....
بين دمي
وشهقَةِ الطّلقَةِ

ماتَتْ لغةُ البدْوِ
وماتَتْ لافتاتُ الغَزْوِ
أبصرتُ دمي لافتةً
للشعرِ والحداءْ...

3 ـ وطن

كنتَ إذَنْ مُشاهدي...
ألقيتَ من سؤالِكَ المرِّ
رمادَ الصّوفِ في جُرحي
وما أبقيتْ...
كنتَ تَرى مدائني
تَهدأُ في إغماضةِ الحُلمِ
التي أموتُها
وتختفي عساكرُ الصبحِ
وراءَ الشَجرِ البليلْ...
عاجَلَني حداءُ أفراسي
وذابَتْ لغةُ الشوقِ
على خاصرتي
وانتَحَرَ البديلْ...

وهذه ملائكُ الأفلاكِ

في موتي تسوقُ المُزْنَ

كي تجتمعَ البُروقُ

في بوابةِ الصّهيلْ...

أعطيتُها خمسَ رصاصاتٍ

متى يفرُكُها الخوفُ

تراني واقفاً ما بينَ كفَّيها

أذُبُّ النارَ

عن ردائها القتيلْ...

.....

سَيَذهَلُ الناسُ عن الناسِ

تكونُ شاهداً

يختصرُ السؤالَ في عينيهِ

كي أُلقي لهُ السّلامْ...

ألقيتَ من ترابِكَ الأسمرِ

حباتٍ على الجرحِ

وطابَتْ ساعةُ المنامْ...

هواجس

نهرٌ يتدَفَّقُ في ذاكرتي
ويَصلُّ حصاهُ...

سمكٌ
يأكلُ سَمكاً
مجزَرةٌ للموجِ
أهبُّ لألحقَ شاطئَها
فتفرُّ إلى أُفُقِ
لسْتُ أراهُ...
يا هذا التمثالُ الأملَسُ
والصمتُ يرُجُّ زواياهُ...
افتحْ في صدرِكَ
قَدْرَ مرورِ شَظيَّةْ..
وانزِفْ
فوقَ القاعدةِ الحجريةِ
رائحةَ السّمكِ المحروقِ

وحاذِرْ..

أنْ تَتَحرَّكَ

فوقَ القاعدةِ الحجريةْ...

عَمِّقْ وجهَكَ في الصمتِ

وحاذِرْ مرآةَ سواهُ...

نهرٌ يَتَكدَّسُ تحتَ رؤاكَ

وجمرٌ

تَتَكدَّس تحتَ رؤاهُ...

حاصِرْ ذاكرةَ النَّهرِ

فلا يُطفئُها الجمرُ

وخاصِرْ خاصرةَ الجمرِ

فلا يُشْعلُها النهرُ

وطَفِّفْ ذاكرةَ الأبَديةْ...

أعْدِلْ بين الحُلمِ

وإزميلِ المَثَّالْ...

أعْدِلْ بينَ النخلَةِ

والتمرَةِ

والحَرِّ القَتَّالْ...

وتَشَبَّثْ بالصبرِ

ففيهِ بَقِيّةْ...

كسوف

قامَتْ قائمةُ الدنيا
لثَوانٍ
وَتَراكضَ كلُّ الفلكيينَ
على قَرْعِ النّاقوسْ...
هَمَّتْ بعضُ نجومٍ
أنْ تَسطَعَ واهِمَةً
وَتَوَهَّمَ
عَتَمُ البلّورِ الأسودِ
أن يُمسِكَ بالشمسِ
وراءَ الكابوسْ...
لكنَّ الكلَّ اتّفقوا،
عَرَباً
يا بانيينَ
وحتّى الرّوسْ...
أنَّ القمرَ الطارئَ هذا

قمرٌ منحوسْ...

أصغَرُ مِنْ أنْ

يخدشَ أحلامَ النورِ

وأنْ يُحْدثَ أمراً محسوسْ...

واتّفقوا أيضاً

وعلى نفسِ المعيارْ...

أنَّ الله القادرَ

قَدَّرَ وزنَ الكونِ،

وسيْرَ الأقمارْ...

ولذا

لوْ دارَتْ دائرةُ الأرضِ

على قَرنِ الثّورِ

أو انتَقَلَ المرّيخُ

إلى قَرنِ الجاموسْ...

لنْ تُطْمَسَ هذي الهالةُ

لنْ يُكْسَفَ

وجهُ المكتوبِ

على لوحِ النّاموسْ...

سبحانَ

الملكِ القدّوسْ...

الفهرس

لافضاء سوى وحشتي 1
الإهداء 5
الخيط الأبيض 7
السلامُ المُباحْ 10
الذي والتي.. 22
ومحلٌ دمي من الإعراب 22
سُبُحات في حرائق الروح 31
أحاول مدخلاً 39
وأشاغلُ الحراس 39
وأكتوت جمرتي بالغواة وقالوا تعالْ.. 47
لا فضاءَ سوى وحشتي 55
سيدة الجرح 64
سحائبُ حلمٍ مكسور 71
للبحر ثانية 87
مرثية لم تكتمل بعد 96
هواجس 102
كسوف 104
الفهرس 107

الشاعر

*عبد الوهاب إسماعيل شاعر وكاتب ومؤلف مسرحي.

*ولد في مدينة الموصل عام 1945.

*بكالوريوس قانون من جامعة الموصل.

*عمل في التعليم والإعلام والصحافة والمحاماة.

*عضو الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب.

*عضو الاتحاد العام للأدباء والكتاب العراقيين.

*عضو نقابة الصحفيين العرب.

*عضو نقابة الصحفيين العراقيين.

*عضو نقابة الفنانين العراقيين.

*عضو نقابة المحامين العراقيين.

*عضو جمعية شعراء الشعب وكتاب الأغنية العراقيين.

*نشر في العديد من المجلات والصحف العربية والعراقية.

*شارك في العديد ممن المؤتمرات والمهرجانات والأيام الثقافية.

*كُتِبَ عن نتاجاته العديد من المقولات والدراسات النقدية.

*ترجمت بعض نصوصه إلى عدد من اللغات الأجنبية.

صدر للشاعر

1 ــ فاتحــة الــنار (شعر) وزارة الإعلام/ سلسلة كتابات جديدة/ بغداد 1974.

2 ــ مسرحيات غنائية/ مشترك مع الشاعر معد. الجبوري/ مطبعة الجمهور/ الموصل 1986.

3 ــ طقــس آخــر (شــعر) وزارة الثقافة والإعلام/ دار الشؤون الثقافية العامة/ بغداد 1987.

4 ــ البيرق (مسرحية غنائية) الموصل/ 1995.

5 ــ إسق العطاش (شعر) الموصل/ 1997.

6 ــ هواجس على مرآة خاصة (شعر) وزارة الثقافة/ دار الشؤون الثقافية العامة/ بغداد 2001.

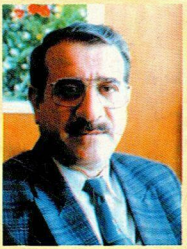
7 ــ ممالك آروب (مسرحية) الموصل/ 2005.

رقم الإيداع في مكتبة الأسد الوطنية

لا فضاء سوى وحشتي/ عبد الوهاب اسماعيل. ـ دمشق: اتحاد الكتاب العرب، 2007. ـ 109 ص؛ 20 سم.

1- 811,9 إ س م ل 2ـ العنوان 3ـ اسماعيل
ع- 2007/8/1536

مكتبة الأسد



عبد الوهاب إسماعيل

- شاعر وكاتب ومؤلف مسرحي.
- ولد في مدينة الموصل عام 1945.
- بكالوريوس جامعة الموصل.
- عمل في التعليم والإعلام والصحافة والمحاماة.
- عضو الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب العراقيين.
- عضو نقابة الصحفيين العرب والعراقيين.
- عضو نقابة الفنانين والمحامين العراقيين.

مؤلفاته:

1ـ فاتحة النار (شعر) وزارة الإعلام ـ بغداد ـ 1974.

2ـ مسرحيات غنائية مشترك مع الشاعر معد الجبوري ـ مطبعة الجمهور ـ الموصل ـ 1986.

3ـ طقس آخر ـ شعر ـ وزارة الثقافة والإعلام ـ دار الشؤون الثقافية العامة بغداد ـ 1987.

4ـ البيرق (مسرحية غنائية) الموصل ـ 1995.

5ـ اسقي العطاش (شعر) الموصل ـ 1997.

6ـ حواجز على مرآة خاصة (شعر) وزارة الثقافة ـ دار الشؤون الثقافية العامة ـ بغداد 2001.

7ـ ممالك آروب (مسرحية) الموصل/ 2005.

مطبعة اتحاد الكتاب العرب ـ دمشق

ثمن النسخة (١١٠) ل.س داخل القطر

(١٢٠) في الوطن العربي

Designing by: A.Aborashed